مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السابع / العـدد الأول
(ذو القعدة 1444هـ/ جوان 2023م)، ص 354– 372

الخوف في الحاضرة الروحية فاس، خلال حرب الأربعين سنة(1613– 1653م)

Fear in the spiritual metropolis of Fez, the forty years war 1613-1653

فيصل مبرك [1] Fayssal Mabrak [1]

[1] المركز الجامعي سي الحواس- بريكة Centre Universitaire si alhawas – Barika

fayssal.mabrak@cu-barika.dz

المؤلف المرسل: **فيصل مبرك** Fayssal Mabrak الإيميل: fayssal.mabrak@cu-barika.dz

تاريخ الارسال: 19 /2022/04 تاريخ القبول: 17/ 2022/12

الملخص:

يختص هذا المقال بدراسة فترة تاريخية شهدتها مدينة فاس الحاضرة الروحية والمدينة التاريخية الأكثر حضورا في تاريخ المغرب الأقصى، حيث عرفت حربا أهلية وثورات وتمردات خلال حكم المولى زيدان السعدي سنة 1613م، لم تتوقف هذه الفتنة إلا بعد أربعين سنة، رغم تدخل الكثير من القبائل والشيوخ والعلماء والحكام محاولين السيطرة عليها، مما جعل الكثير من التأويلات تظهر في الأفق كالقول بأنها مدينة منحوسة أغضب أهلها الله واستجيب لدعوة الأولياء الصالحين على أهلها، وهو ما انتجه الخوف الشعبي والجماهيري من الحياة في مدينة فاس حينها.

بينما التحليل التاريخي يحتاج إلى نضرة أدق وأشمل تأخذ بعين الاعتبار مكانة المدينة التاريخية والوزن الاقتصادي والديموغرافي، باعتبار أدوار المدينة الحاضرة التي تعابر نظيرتها مدينة مراكش العاصمة، أما المدن الأخرى فلم تكن تخرج عن نطاق تأثير المدينتين الحضاري والسياسي، لهذا نجد الكثير من العصبيات السياسية تسعى للسيطرة عليها على غرار السعديين والعلويين والدلائيين وأخيرا العلويين، فمن خلال السيطرة عليها يمكن إخضاع المغرب الأقصى كله.

الكلمات المفتاحية: فاس، مراكش، المغرب الأقصى، الدولة السعدية، الأسرة العلوية.

Abstract:
This article examines a historical period in the city of Fez, the most present spiritual and historical metropolis in the history of Morocco. Where there was civil war, revolutions, rebellions and fierce wars during the rule of Moulay Zaidan al-Saadi in 1613. These bloody events did not stop until after forty years, despite the intervention of many tribes, sheikhs, scholars and rulers trying to calm down. Which made many interpretations, such as saying that it is a sinful city, suffering from the wrath of God, and the righteous saints called it to perish. This is what produced the popular and public fear of life in the city of Fez at the time.
But the scientific historical analysis needs a more accurate and comprehensive viewpoint that takes into account the city's historical, economic and demographic status, given the roles of the present city that crosses its counterpart the city of Marrakesh, the capital, while the other cities were not outside the scope of the influence of the two cities' civil and political, for this we find a lot of political fanaticism seeking To control it, such as the Saadians, Alawites and Alawites, because controlling it means subjugating the whole of Morocco.
Keywords: Fez, Marrakesh, Morocco, Saadian dynasty, Alawi dynasty.

1. مقدمة:

يذكر أحد الباحثين أن مدينة فاس هي التي "شَكَّلَتْ الْأَمَانَ وَالْعُنْفَ فِي الْمَغْرِبِ، فَأَمَّا الْعُنْفُ فَقَدْ أَرْغَمَتْهَا عَلَيْهِ طَبِيعَةُ الْقَبِيلَةِ، وَأَمَّا الْأَمَانُ فَأَلْزَمَتْهَا بِهِ الْمَدَنِيَّةُ وَالْحَيَاةُ الْحَضَرِيَّةُ بِإِعْطَائِهَا نَمَطًا خَاصًا يُمْكِنُ أَنْ نَسَمِّيهِ وَاقِعَ الْحُضُورِ الْمَدَنِيّ الْوَسِيطِيّ لِتَارِيخِ الْمَغْرِبِ"[1]، باعتبار أدوار المدينة الحاضرة التي تعابر نظيرتها مدينة مراكش، أما المدن الأخرى فلم تكن تخرج عن نطاق تأثير المدينتين الحضاري والسياسي.

لقد كانت فاس المدينة الأقرب إلى الفتن والمشاكل والصراعات منذ الأيام الأولى للدولة السعدية، ذلك أنها كانت حاضرة عريقة تتمتع بالقوة الديمغرافية والوزن الاقتصادي، كما أن المدينة يتبعها إقليم فاس الكبير الذي يبين الحسن بن مُحَّد الوزان حدوده من غرب نهر أبي رقراق إلى شرق نهر إيناون، وينتهي شمالا عند نهر سبو وجنوبا عند سفح الأطلس[2]، ثم أن هذا الإقليم كان تحت سلطة مُحَّد الشيخ المأمون السعدي منذ

كان ولي عهد أحمد المنصور الذهبي[3]، وتشير المصادر التاريخية أن المأمون هذا حاول أن يستقل بإقليم فاس ليؤسس قاعدة لحكمة وسيطرته على المغرب، غير أن المولى أحمد المنصور الذهبي قد أحبط محاولته هذه وأودعه السجن[4]، أما بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي فقد خضعت مدينة فاس مدة وجيزة لأبي المعالي زيدان، حيث بايعه أهلها، ولما سمع بقدوم أخيه المأمون وخروجه من السجن، حث في مطالبة الناس بالصمود والتصدي له، إلا أنهم امتنعوا عن قتاله، ورأوا أن بيعة مُحَمَّد الشيخ المأمون أولى وأسبق من بيعة زيدان[5]، وهكذا تعود مدينة فاس من جديد تابعة لمحمد الشيخ المأمون، بعد وقائع وحروب كثيرة[6]، لم ينته مسلسل الخوف حينها بل بقي مستمرا.

2. الخصوصية التاريخية والجغرافية لمدينة فاس:

إقليم مدينة فاس معروف بكثرة الحروب بين القبائل والأهالي الساكنين فيه منذ مستهل القرن 11 هـ/ 17م، وتوجد بعض الشذرات المتناثرة في المصادر التاريخية عن هذه الحروب، إذ يذكر في ترجمة الشيخ أبي مُحَمَّد عبد الله بن أحمد بن الحسن الخالدي السلاسي المعروف بابن حسون، المنتسب لإحدى المداشر على مقربة من مدينة فاس، أن الشيخ المذكور قد لاحظ أن الحروب والفتن التي كان يعاني منها العامة هنا قد دخل في تيارها حتى العلماء والأولياء والصوفية، وهو ما جعل الشيخ المذكور يغادر إقليم فحص فاس ويتجه نحو مدينة سلا، وعلى الرغم من محاولة مريديه ومحبيه جاهدين في إقناعه بالرجوع؛ إلا أنه لم يشأ ذلك، وأشار إليهم بقوله، –بعدما أخذ كأسا من الماء–: "مَا بَالُ مَاءِ البَحْرِ يَضْرِبُ بَعْضَهُ بَعْضًا، وَتَتَلاَطَمُ أَمْوَاجُهُ؟ !"[7]، وتشير هذه الرواية إلى أن مدينة فاس كان كانت كالموج المتلاطم يضرب بعضه بعضا، وعلى سبيل المثال نذكر أن مدينة أهالي مدينة فاس كانوا منقسمين في ولائهم بين أبي المعالي زيدان وأخويه المأمون وأبي فارس، كما كانت تتجاذب المدينة كل من الشراقة والحياينة، إضافة إلى الحروب الأهلية التي نحن بصددها الآن، كما يشير مُحَمَّد بن الطيب القادري أن الفاسيين كانت لهم أيضا صراعات ومشاكل مع بني زروال المسامتين لمدينتهم.[8]

في رواية شعبية يذكرها صاحب **الروض عاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، أن الشيخ مُحَمَّد بن حكيم الأندلسي، –وكان "صَاحِبَ حَالٍ وَفَيْضٍ"[9]–، كان يخرج من داره فيمر بحومته في مدينة فاس حتى يصل إلى موضع فيقول: «هَا هُنَا مِنْ أَيْنَ يَجُوزُ؟ !...»، فإذا بالمدينة انقسمت في المكان الذي

كان الشيخ المذكور يفعل ذلك[10]، لا تهمنا الرواية كما هي؛ بقدر ما تهمنا فكرة الانقسام ذاتها، وذلك أن الانقسام كان فعليا، إذ حدد سكان فاس الحدود بينهم وبين نظرائهم من خصومهم.

3. ثورة أبي الربيع سليمان اللمطي:

تجدر الإشارة إلى أن سليمان اللمطي والسيد المربوع كانت لهما الصدارة والوجاهة في أهل فاس قبل موت مُحَمَّد الشيخ المأمون، كما أنهما كانا يتمتعان باحترام العامة وتقديرهما على حد قول المؤرخ المجهول[11]، غير أن الوضع تغير بعد مقتل المأمون، إذ وافق الرجلان على مساعدة عبد الله بن المأمون في أخذ الثأر لأبيه، وهو ما جعل العامة تتنكر لهما، فأبو الربيع سليمان اللمطي كان محتسبا لدى السعديين بفاس في أيام المولى عبد الله بن مُحَمَّد الشيخ المأمون، وكان مطيعا له، إذ يذكر الناصري في الاستقصاء أنه ناصره بأتباعه منذ سنة 1022هـ/ 1613م، في محاولته للنيل من مقدمي تطوان آل أبي الليف [12] الذين قتلوا أباه[13]، كما ساهم هذا الرجل في قمع العامة الذين رفضوا الانضمام إليهم في حربهم، وقتل الشريف إدريس بن أحمد الجوطي العمراني جراء تلك الأحداث، فأراد بعض العامة الانتقام له، وفي هذا يورد الناصري في الاستقصاء: «... ثُمَّ الْتَفَّ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعُدْوَةِ وَقَصَدُوا دَارَ أَبِي الرَّبِيعِ وَنَاوَشُوهُ الْحَرْبَ، فَرَجِعُوا مَفْلُولِينَ وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ...» [14]، ولم تهدا هذه المناوشات بل استمرت بين الطرفين حتى راح ضحيتها ما يقارب 4600 شخص.[15]

وبعد أن كان سليمان محبوبا ومطاعا لدى العامة من اهل فاس؛ أصبح منبوذا فقد رفع الناس شعارا مفاده أنهم لا يقبلون الزرهوني ولا المربوع[16]، وكل من يتعاون مع عبد الله بن الشيخ المأمون في حروبه مع أهل تطوان، وفي ذلك يشير في **نزهة الحادي**...، أنهم "حَاصُوا حِيصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ وَاتَّخَذُوا رُؤَسَاءَ آخَرِينَ..." [17]، هذا هو السبب الرئيس الذي جعل مدينة فاس تدخل في فتن وحروب.

يذكر صاحب كتاب **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية** أن الشريف سليمان وبمساعدة من الفقيه المربوع عادت سيطرتهما على رجال مدينة فاس من كل حومة[18]، وذلك أن هؤلاء جميعا اتفقوا على أخذ الثأر من عرب الشراقة، اللذين ظلموا الناس في المدينة، فاتفق الناس على قتالهم، ولا سيما السيد سرحان الحياني؛ الذي قتل أربعة من قوادهم –الشراقة–، كما يذكر أن هذه الانتفاضة قد خلفت الكثير من القتلى في جانب الشراقة، حتى قال أنه "قُتِلَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْمَدِينَةِ"[19]، ولعله كان يقصد في ذلك أنه لم يبق منهم في المدينة أحد، فلقي البعض نَحْبَهُمْ، وهرب البعض الآخر، لأنه في موضع آخر يذكر أنهم "عَبَرُوا

وَادِي سبُو إِلَى سلاَس، وَبَقَوْا هُنَالِكَ إِلَى أَنْ اِجْتَمَعُوا وَصَحُّوا"، ولم تعصف هذه الأحداث بجماعة الشراقة فحسب ولكن أيضا انقض أهل مدينة فاس على أحياء الحياينة فأصابوا منهم "مَقْتَلَةً عَظِيمَةً" حسب تعبير المؤرخ المجهول[20]، وذكر أن كل قواد الحياينة في مدينة فاس قتلوا، ومجموع ما مات من الحياينة قدره بحوالي 3000 رجل.[21]

تعتبر قضية مقتل السيد أبي الربيع الزرهوني السبب المباشر لانقسام مدينة فاس إلى جزئين، جزء يسيطر عليه اللمطيون، وآخر يسطر عليه الأندلسيون، وحسب **مُحَمَّد الصغير الإفراني** في **نزهة الحادي**...؛ أن ذلك كان يوم السبت 05 صفر 1026هـ[22]، ونظرا للتوتر القائم بين الطرفين كان يمنع تجاوز تلك الحدود، ومن يفعل ذلك سيقتل، وسبب كل تلك التوترات والمشاكل، ما سبق من المشاكل التي أَشْرَكَ فيها الملوك السعديون سكان المدينة؛ في إطار تحصين حكمهم في المدينة والسيطرة عليها.

يذكر **مُحَمَّد الصغير الإفراني** في **نزهته** رواية عن سكان فاس، بأنهم أدوا صلاة الجمعة، –وذلك قبل مقتل السيد سليمان الزرهوني–، وكان الجو ممطرا حينها بشكل غزير جدا، فأخذ المصلون في جوامع فاس يدخلون تحت السقف بدل صحن المسجد، وهنا سُمِعَتْ إشاعة بين المصلين تفيد بأن السيد سليمان الزرهوني قد قتلته الشراقة غدرا، فانهزم الناس من المساجد وهربوا، "لاَ يُلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ" حسب ما يصف صاحب **نزهة الحادي**...، وقد حصل بالفعل في يوم السبت 05 صفر 1026هـ/ 12 جانفي1617م[23] أن قتل السيد سليمان الزرهوني في جنازة لمطي، وكان السيد المربوع هو من قتله كما سبق وأشرنا سابقا كما قتل أباه وأبناء عمه وستة من أصحابه، ومن خلال قصة المطر السالفة التي يرويها **مُحَمَّد الصغير الإفراني** يتبين أن للسيد سليمان الزرهوني أهمية بالغة لدى سكان مدينة فاس وحتى من اللمطيين أنفسهم، وقد يكون هذا هو السبب الذي جعل من المربوع يقوم باغتياله[24]، ولعل تلك المكانة التي حظي بها أبو الربيع سليمان الزرهوني مستوحاة من منصبه كمحتسب لدى المولى عبد الله بن **مُحَمَّد** الشيخ المأمون، قبل قيامه بالثورة، كما أن سبب هروبهم هو النجاة من مناوشات التي قد تحدث بين المصلين.

في هذه الحالة لم يبق من اللمطيين إلا الالتفاف حول زعيمهم الجديد، بل وزعيم مدينة فاس كلها، سيما بعد أن أرادت جماعة من الزرهونيين الغدر به وعلى رأسهم أحمد وعلي أخوي سليمان الزرهوني الذين أتيا بمجموعة من خيرة الرجال الزرهونيين ودخلا بهم فاس، غير أن هؤلاء قتل جُلُّهم، ولما أحس أحمد

وأخوه بأن الدائرة دارت عليهما التجآ إلى روضة أحمد الشاوي رفقة من بقي حيا من رفاقهما، ويذكر صاحب **الروض عاطر الأنفاس**... أنهم كانوا في ثمانين رجلا[25]، فلحقهما السيد المربوع مع جماعة من اللمطيين، فتفرق رفاق أحمد الزرهوني في دار الشيخ أحمد الشاوي، حيث تبعهم السيد المربوع ورجاله فقتلوهم[26]، أورد هذه الرواية مُحَمَّد بن الطيب القادري في **نشر المثاني**... اعتمادا على ما في **الراوي المعتمد**...، وهو في ذلك أكثر تفصيلا، إذ يذكر أن أحمد هذا قد دخل فاس مع أربعة من الرجال الزرهونيين، ثم يذكر أنه قد هرب مع حوالي الثمانين رجلا من أتباعه إلى روضة الشيخ أحمد الشاوي[27]، وعلى الرغم مما يظهر من التناقض في هذه الرواية إلا أن ما يهم هنا هو أن الإطار العام لها صحيح، كما لا يستبعد أن يكون أحمد الزرهوني قد انظم إليه بعض من الرجال، إلا نهم قتلوا جميعا أو أغلبهم، هذه الرواية تشابه ما أورده ابن عيشون الشراط في الكتاب المنسوب له **الروض عاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من مدينة فاس**، غير أنه لم يعتمد على ما في كتاب **معتمد الراوي بمناقب سيدي أحمد الشاوي** لعبد السلام بن الطيب القادري، بل اعتمد على من يثق به عن أمه ! [28]

بقي الزرهونيون من سكان فاس الجديدة يتربصون باللمطيين وزعيمهم الفقيه المربوع هذا الأخير الذي تفطن لكل تلك الكمائن وتصدى لها، فكانت معارك بين الطرفين أسفرت على نحو 131 قتيل من الطرفين، وفي هذا يقول مُحَمَّد الصغير الإفراني في نزهته: «... فَفَطِنَ لَهُمْ وَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ قِتَالٌ مَاتَ فِيهِ مَايَةٌ وَوَاحِدٌ وَثَلاَثِينَ [كذا] رَجُلاً، وَسَلِمَ المْرْبُوعُ...» [29]، كل هذه الأحداث جعلت من المربوع يعيش حالة من القلق إضافة إلى أصحابه الذين كانوا معرضين للخطر نفسه، ذلك أن الزرهونيين ما زالوا يطلبون ثأر سيدهم سليمان بن مُحَمَّد الزرهوني، وهو ما يجعل اللمطيين يبحثون عن حلول من شأنها أن تخمد الفتنة، لذا فقد اجتمعوا على رجل من زرهون معروف بالصلاح والنسك، واسمه عبد الرحمن الخنود، وذلك في جمادى من عام 1027هـ، بروضة سيدي علي بن حِرْزِهم، واجتماعهم له كان بقصد المبايعة.

وفي إشارة في كتاب **الصفوة**...، يذكر مُحَمَّد الصغير الإفراني أن كل هذه الأحداث لم تكن تعجب المولى عبد الله بن الشيخ المأمون السعدي، وذلك أنه كان ضد فكرة مبايعة أي كان من سكان مدينة فاس، سيما الفقيه المربوع ذاته، وانتهز عبد الله بن المأمون السعدي الفرصة بعدما وصلته أخبار اجتماع أكابر وأعيان مدينة فاس من اللمطيين بأميرهم الجديد عبد الرحمن الخنود الزرهوني في ضريح سيدي ابن حرزهم، فطوق القائد أحمد بن عميرة وزير المولى عبد الله ورجاله وبعض الأعراب من الشراقة؛ طوقوا المكان

وحاصروا اللمطيين هناك، وأصيب عبد الرحمن المذكور فمات لتوه[30]، وبقي مبايعوه يعانون الحصار وغارات الأعراب؛ حتى أذعنوا واستسلموا.[31]

بعث سكان فاس إلى عبد الله بن المأمون سفراء وأظهروا له الطاعة والولاء "فَفَرِحُوا بِهِ وَفَرِحَ بِهِمْ"[32]، فعفا عنهم وعن مواقفهم مع الشراقة وكتب عبد الله إلى المربوع وأعطاه الأمان على أن يسلم نفسه ولكنه خاف عليها، وهرب مع بعض اللمطيين، وصمم على قتال عبد الله والفاسيين، ولكن سرعان ما هرب اللمطيون عن المربوع لما تسامعوا بخبر العفو الصادر من أحمد عميرة وزير عبد الله، وبقي المربوع وحده خائفا يتربص به المتربصون[33]، كما بعث عبد الله له مرة أخرى الأمان فأرسل له سبحته وخاتمه، ولكنه هرب لبني حسن ليلا، أين قبض عليه كبيرهم سرحان وقدمه لعبد الله، ولكنه سمح له وعفا عنه واستتب الأمر في فاس وكان ذلك في جمادى الأولى 1027هـ.[34]

بعدما لاحت بوادر الهدوء في مدينة فاس حاول عبد الله تعزيز سلطانه في الشمال فبعث أجناده لحصار تيطاوين بقيادة الوزير حمَّ وهو ابن عم المربوع إلى جبال الزبيب فغدر المربوع وقتل الوزير "اعْتِمَادًا عَلَى كَلاَمٍ سَمِعَهُ مِنْ عَبْدِ اللهِ" حسب رواية صاحب **النزهة**...[35]، فغضب عبد الله وأسرَّها في نفسه، وبقي المربوع هاربا حتى 03 ربيع الأول 1028هـ/ 19 فيفري 1619م، فَقُتِلَ ونهبت أمواله، كما ولاحق المولى عبد الله اتباعه من اللمطيين بضريبة فرضها عليهم تقدر بـ 80000 درهما ثم جعلها 40000 درهما[36].

وفي رواية أخرى أوردها الإفراني وقال أنها صحيحة انطلاقا ممن حدثه بها في قوله: «... وَهَذِهِ حِكَايَةٌ صَحِيحَةٌ سَمِعْتُهَا مِنْ غَيْرِ وَاحِدٍ أن الشَّيْخَ العَارِفَ بِاللهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ مُحَمَّدٍ الفَاسِي قَالَ: "لاَ يَغْلِبُ أَحَدٌ اللَّمْطِيِّيْنَ مَا دَامُوا مُوَاظِبِينَ عَلَى قِرَاءَةِ حِزْبِ الشَّاذِلِيّ الكَبِيرِ"، وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنَ اللَّمْطِيِّيْنَ يَقْرَؤُونَهُ صَبَاحًا بِزَاوِيَةِ سِيدِي رضوَان مِنْ عُدْوَةِ اللَّمْطِيِّيْنَ فَسَمِعَ بِذَلِكَ الأَنْدَلُسِيُّونَ، فَاحْتَالُوا عَلَيْهِمْ أن قَامَ أَحَدُهُمْ بِاسْتِضَافَتِهِمْ فَبَاتُوا عِنْدَهُ، وَفِي صَبَاحِ اليَوْمِ المَوَالِي زَعِمَ الرَّجُلُ أن مِفْتَاحَ الدَّارِ ضَلَّ وَسَقَطَ وَلَمْ يَزَلْ يُعَانِي فَتْحَهَا فَلَمْ يَقْرَأْ اللَّمْطِيُّونَ الحِزْبَ وَهُوَ اليَوْمُ الَّذِي هَجَمَ فِيهِ الأَنْدَلُسِيُّونَ عَلَى اللَّمْطِيِّيْنَ فَهَزَمُوهُمْ وَحَكَّمُوا السُّيُوفَ فِي رِقَابِهِمْ...»[37]، يؤكد صاحب **نزهة الحادي**... على هذه الرواية ويشير إلى أنها رواية صحيحة وأنه سمعها من غير واحد من ثقات الذين سمع عنهم، ولا تهمنا الرواية بقدر ما تهمنا أن الزرهونيين قد

انتقموا من اللمطيين وأخذوا بثأرهم القديم، أما بخصوص تاريخ هذه المعركة فالراجح أنها بعد سنة 1027هـ/ 1618م.

في سنة 1028هـ/ 1619م، مات الفقيه المربوع بعد أن قضى عليه عبد الله بن مُحَمَّد الشيخ السعدي، وصلبه بفاس القديم أمام الملأ[38] وعلقه مدة في برج الجديد خارج باب السبع من فاس، ثم أنزله ولعبت عليه الخيل تنكيلا منه به[39]، وفي هذه الأثناء قام أحد الثوار الفاسيين من لمطة مكانه ويسمى مُحَمَّد بن سليمان وكان يلقب بالأقرع[40]، تمكن من فرض السيطرة على مدينة فاس لمدة وجيزة، غير أن سياسته اتسمت بالقسوة والجبروت، والمجاهرة بالمعاصي والكبائر[41]، ويشير صاحب **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، إلى أن مُحَمَّد بن سليمان الأقرع هذا عزم يوما على هدم زاوية سيدي عبد الرحمن بن مُحَمَّد الفاسي، فصاح أحد تلامذته مكاشفا الحاضرين قائلا: "اليَوْمَ يُقْطَعُ رَأْسُ ابْنِ سُلَيْمَانَ"، وكان أن خرج في اليوم الموالي مُحَمَّد بن سليمان إلى فاس الجديد مقاتلا أهلها الذين خرجوا عن طاعته، فالتحم الفريقان وانهزم مُحَمَّد بن سليمان الأقرع، فقطع رأسه، ودفن بلا رأس.[42]

وقيل أن أهل فاس العتيق بعثوا إلى المولى عبد الله بالوليين سيدي جلول (جلون!!) (ت1037هـ)[43] وسيدي مسعود الشراط (ت1031هـ)[44]، فلما لقيهما قال: «مَا وَجَدَ أَهْلُ فَاسَ شَفِيعًا غَيْرَ هَؤُلاَءِ الخَرَّائِينَ فِي ثِيَابِهِمْ؟! [كذا]»، فغضب سيدي جلول وقال له: «لاَ يُتَصَرَّفُ فِيهَا إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ سَنَةٍ»، وانصرفا، وقيل أنه انقلبت معدته فخرج غائطه من فمه أياما!! –ولعلها حالة من الإسهال الحاد يصاحبها قيء شديد حتى تلفظ فيه المعدة عصارات جدارها– إلى أن أتى بالشيخين فاسترضاهما، وتوفي عبد الله عام 1033هـ، وكان أمر فاس كما قال سيدي جلول، فلم تخضع فاس إلى مَلِكٍ بعد سنة 1020هـ، إلا للمولى الرشيد بن الشريف العلوي، وإنما كانت جموع الشراقة تتصرف فيها وبعدهم الأعيان من بعض القبائل المتغلبة واللصوص والعصابات[45].

4. مقتل الشيخ أبي القاسم بن أبي نعيم:

بالرجوع إلى مؤرخ القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي مُحَمَّد الصغير الإفراني في كتابه **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تزداد الأحداث تعقيدا وذلك لما يذكر حادثة مقتل الشيخ أبي القاسم بن أبي النعيم، وذلك لأن المؤرخ المذكور يشير إلى أن من قام بقتل الشيخ هم مجموعة من اللصوص لا غير، وفي ذلك يقول: «... قَتَلَهُ اللُّصُوصُ بِبَابِ المدْرَسَةِ العَنَانِيَّة، لِأَنَّهُمْ اتَّهَمُوهُ بِالمِيْلِ لِعَبْدِ اللهِ بنِ

الشَّيْخِ فَوَقَعَ بِسَبَبِ قَتْلِهِ شَرٌّ عَظِيمٌ بَيْنَ أَهْلِ العُدْوَتَيْنِ...»[46]، ومن خلال هذا التعبير يظهر أن هناك شيئا غير منطقي في كلام مُحَمَّد الصغير الإفراني، ذلك أن لا مبرر للربط بين اللصوص –القاتلين–، وبين سبب مقتل الشيخ، وهو الميل إلى عبد الله بن الشيخ المأمون، كما أن هذا لا يبرر اشتداد الصراع بين سكان عدوتي مدينة فاس، فما علاقة كل هذا بسير الأحداث في مدينة فاس؟ وما مغزى ذكر كلمة اللصوص في نص **نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي؟**

لكن الرجوع إلى كتاب **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني** لمحمد بن الطيب القادري تكون الأحداث أوضح، وذلك من خلال ما وجد على مخطوطة **نشر المثاني**...، وهو ما يفيد بأن اللمطيين كانوا متعاونين مع البربر في مدينة فاس وما جاورها مثل أهل مطغرة –بعضهم فقط– النازلين بباب المسافر وأهل الكنيف، وكذا بنو سدراتة النازلين بإزاء جامع الأندلس وكذا فشتالة[47] النازلين بزواوة[48]، إضافة إلى بني يازغة وصنهاجة صفرو[49]، كل هذه القبائل كانت تؤذي الأندلسيين الساكنين بعدوتهم، هؤلاء الذين التفوا حول الشيخ أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني الأندلسي خطيب مدينة فاس، وطلبوا منه أن يوصل شكايتهم إلى المولى عبد الله بن مُحَمَّد الشيخ المأمون السعدي، هذا الأخير الذي وعد بقطع المشكلة نهائيا وبكف أيادي البربر على الأندلسيين، وصل خبر هذه الشكاية إلى العدوة الأخرى من مدينة فاس على أن أبا القاسم بن أبي النعيم يراود المولى عبد الله السعدي على فاس القديمة وسكانها، فاجتمع بعض الرجال فيها واتفقوا على غدر الشيخ ابن أبي النعيم، واستعانوا بحلفائهم من أجل تنفيذ هذه الخطة، فاختفى قتلته بصومعة الجامع، فلما رجع الشيخ من صلاة الجمعة بفاس الجديد رموه برصاصة أصابته[50]، وكان ذلك يوم الجمعة 5 ذي القعدة 1032هـ/ 1 أكتوبر 1623م[51].

نقل الشيخ أبو القاسم بن أبي النعيم إلى داره إثر إصابته إلى داره الواقعة بعدوة القرويين حيث مات فيها وتم تغسيله وتكفينه، ودفن بروضة أولاد الوزير الغسانيين وبني على ضريحه، وبقي قبره مزارا هناك، وأخذ بنو عمه على عاتقهم الثأر له[52]، وذلك أن سكان المدينة تسامعوا بخبر مقتل الشيخ أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني الاندلسي، ووصل الخبر إلى المولى عبد الله بن مُحَمَّد الشيخ المأمون السعدي، الذي لا شك تأثر أيما تأثر لهذه الحادثة، في الوقت الذي بادرت فيه جموع الأندلسيين إضافة إلى بعض قبائل مطغرة بالهجوم على اللمطيين ومن حالفهم، وكانت مواجهات عنيفة بين الناس، ويذكر أن حوالي 1500 شخص لقوا مصرعهم في ذلك القتال، ناهيك عن عدد الجرحى والمصابين إثر تلك المعارك، مع العلم أن

الأندلسيين لم يستهدفوا النساء والشيوخ ولا الصبيان، ولا المسالمين المحايدين الذين اعتزلوا تلك الفتن، ويذكر صاحب كتاب **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام** أن تلك الفتن والمعارك دامت قرابة 11 شهرا[53].

بعد أن وقعت الهزيمة على اللمطيين وحلفائهم من البربر قدم عبد الله بن مُحَمَّد الشيخ المأمون في محاولة منه لأخذ الثأر والانتقام منهم، فحشد كل من بقي حيا من الذين تسببوا في اغتيال الشيخ أبي القاسم بن أبي النعيم، وأمرهم بهدم بيوتهم فهدمت من "بَابِ ابْنِ مُسَافِرٍ إِلَى شَابِك مِنْ وَادِي الزَّيْتُونِ"[54]، كما هدموا قراهم الخارجة عن المدينة أيضا وبقيت خرابا، ولقي أهل سلاس بفحص المدينة معاناة شديدة، ثم أمر المولى عبد الله السعدي بدفن الإمام وحظر هو جنازته[55].

5. مدينة فاس والباحثين عن الشرعية لتمكين سلطانهم:

دخلت مدينة فاس في نفق جديد من الفتن والمشاكل والمعارك والحروب، وذلك إثر وفاة المولى عبد الله بن الشيخ المأمون حسب ما يورده بعض المؤرخين في شهر شعبان من العام 1032هـ[56] ما يوافق أبريل نيسان 1623م، وخلفه أخوه المولى عبد الملك بن مُحَمَّد الشيخ السعدي، هذا الأخير الذي عرفت في عهده فاسا تغيرات جديدة، ما أثر كل هذه التغيرات على مستقبل المدينة وأمنها؟ ولماذا استعصت المدينة على الجميع حتى زمن المولى الرشيد؟

لم يصفُ جو الحكم في مدينة فاس بعد انتهاء فتنة مُحَمَّد زغودة لعبد الله بن مُحَمَّد الشيخ المأمون، وذلك أنه لقي نحبه في السنة الموالية أي سنة 1033هـ[57]، أو سنة 1032هـ حسب ما أورده القادري في **النشر**[58]، تاركا وراءه مدينة فاس تموج في المشاكل والفتن والصراعات القبلية والنعرات العصبية والحروب الأهلية، فلا صلح شأنها ولا أمن وقتها، ولا صفا جوها لأهلها، ولا خضعت لحاكم فضبط أمورها وقام بمختلف شؤونها السياسية والاقتصادية، كما تدهورت أحوال المدينة على الصعيدين الثقافي والاقتصادي والعمراني لما شهدته المدينة من جوائح وكوارث طبيعية مثل زلزال عام 1033هـ، وبرد بحجم البيض على ما يذكره القادري[59].

بعد موت المولى عبد الله بن مُحَمَّد الشيخ المأمون، انتهت سلطة الأشراف السعديين على مدينة فاس، وقد لاحظ مُحَمَّد بن الطيب القادري تراجع شأنهم ووصفه في **نشر المثاني**... بقوله: «... وَكُلُّ مَنْ ذُكِرَ بَعْدَ الثَّلاَثِينَ وَأَلْفٍ مِنْ هَؤُلاَءِ الْمَذْكُورِينَ مِنْ رَهْطِ مُحَمَّدٍ الشَّيْخِ وَأَوْلاَدِهِ، إِنَّمَا لَهُمْ مِنَ السُّلْطَةِ مُجَرَّدُ التَّسْمِيَةِ، إِذْ

كَانُوا بَعْدَ هَذَا التَّارِيخِ ضَعُفَ أَمْرُهُمْ...»[60]، لهذا فإن خلفاء عبد الله بن المأمون لم يكن لهم وفير ذكر في المصادر التاريخية، كما أن ملوك مراكش من آل زيدان قد أصبحوا يهددون مدينة فاس محاولين الاستيلاء عليها.

بعد وفاة عبد الله بن المأمون تولى أخوه عبد الملك، ولم تذكر عنه المصادر التاريخية إلا الشيء اليسير، وذلك لعجزه على إخضاع مدينة فاس تحت سلطته، كما أن مدة حكمه قصيرة دامت حوالي أربع سنوات، يصف الإفراني في **النزهة**... نقلا عن **شرح زهرة الشماريخ**... أن حكم المولى عبد الملك لم يتجاوز ما ورثه عن أخيه عبد الله[61]، كلها كانت مشاكل في مدينة فاس، وحروبا مع البيت السعدي في مراكش.

وفي عهد المولى عبد الملك بن مُحَمَّد الشيخ المأمون وبالضبط عام 1035هـ/ 1626م ازدادت حدة الصراعات والفتن بين اللمطيين والأندلسيين في مدينة فاس، حتى أن الحدود التي حددت بين الطرفين لم تنفع لوضع حد بين صراع الطرفين، وهو ما أدى إلى إغلاق حوانيت بعض التجار في حومة الشماعين، وكان من جراء ذلك أن زاد الغلاء وارتفع سعر القمح، وكان من نتائج ذلك أيضا أن تمكن الأندلسيون من إخراج اللمطيين من مدينة فاس في 27 شعبان 1035هـ/ 24 أوت 1626م غير أنهم –اللمطيين– تمكنوا من العودة إلى المدينة مرة أخرى[62]، كل هذه الأحداث لم تجعل السعديين في مدينة فاس يحركون ساكنا، وذلك لعجزهم على معالجة الأمور في المدينة وإخضاعها.

توفي المولى عبد الملك بن مُحَمَّد الشيخ بالطاعون الذي اجتاح مدينة فاس عام 1036هـ، وفي العام الموالي قام أحمد بن زيدان السعدي بمحاولة للاستيلاء على مدينة فاس بعد وفاة أبيه بـ45 يوما، وذلك يوم الجمعة 25 صفر 1037هـ/ 5 نوفمبر 1627م، وكاد أن يتم له ذلك، فحاول ضرب السكة وتنظيم الأمور الاقتصادية بدولته غير أنه قتل في 11 من ذي الحجة 1037هـ/ 12 أوت 1628م[63]، وكل ما قام به أحمد بن زيدان هو قضاؤه على ابن عمه مُحَمَّد زغودة الجمعة 5 ذي القعدة 1037هـ/ 7 جويلية 1628[64]، وبذلك ينقرض آل مُحَمَّد الشيخ المأمون بن المولى أحمد المنصور الذهبي حكام مدينة فاس، لتدخل مدينة فاس مرحلة أخرى من مراحل التطور السياسي.

6. انقراض الملك السعدي من مدينة فاس، وامتناعها من الخضوع لسلطان:

منذ أن انتصف القرن الحادي عشر الهجري دخلت فاس تحت حكم الدلائيين برابرة الأطلس، وهم بدورهم أرادوا أن يفرضوا النظام في المدينة ويخمدوا كل الفتن التي شهدتها، كما حاولوا القضاء على الانقسامات والطائفية بين سكانها، غير أن الدلائيين قد دفعوا ثمنا باهضا جعلهم في النهاية يزهدون في حكم المدينة، على الرغم من أن الفاسيين قد أظهروا ميلهم وتعاطفهم مع الدلائيين منذ سنة 1051هـ، وذلك بعد أن نفذ الرئيس مُحَمَّد الحاج الدلائي غزوة نحو مدينة فاس في 15 شعبان، فقدم إليه سكان مدينة فاس وفرحوا به وأظهروا له البيعة والطاعة، وارتحل عنها في 27 شعبان من العام 1051هـ/ 1 ديسمبر 1641م[65].

خضعت مدينة فاس لحكم الدلائيين عام 1051هـ/ 1641م[66]، وَوَلَّى عليها مُحَمَّد الحاج الدلائي القائد أبا بكر التاملي، وأسند القضاء فيها إلى أحمد الآزموري، والفتيا إلى مُحَمَّد بن سودة، وعلى الرغم من كل صفات القيادة والقوة التي يتميز بها أبو بكر التاملي قائد الدلائيين في مدينة فاس فإنه وقع في دوامة الصراع المتجدد مرة بعد مرة بين سكان فاس الجديد والقديم، غير أن مُحَمَّد الحاج الدلائي قرر أن يولي على مدينة فاس ابنه أحمد، الذي استقر بفاس الجديد، فحاول أن يتابع أصحاب الفتنة ويقضي عليهم نهائيا، وقام ببعض التعديلات على عمارة المدينة، غير أن بعض المشاكل كانت تعترض مشروعه، فتوالت في عهده هجمات عرب الحياينة وطغت على الرعية وعاثت في فاس فسادا، وهو ما أفسد أوضاع المدينة وجعلها في حالة من عدم الاستقرار من جديد كما كانت عليه قبل مجيء الدلائيين، وعلى كل حال فإن ولاية أحمد بن مُحَمَّد لم تدم غير ثلاث سنوات وأشهر حتى توفي سنة 1062هـ/ 1651م[67].

خلف الأمير مُحَمَّد بن مُحَمَّد الحاج أخاه أحمد بن مُحَمَّد في ولاية فاس، الذي وصفته المصادر التاريخية بأوصاف حميدة، وامتاز بتفوقه العلمي ونبوغه الأدبي وحسن خلق، والرفق وحسن التدبير والسياسة، إذ يصفه صاحب **البدور الضاوية**... بقوله: «... خَلَفَ أَخَاهُ أَحْمَدًا فِي إِمَارَةِ فَاسَ وَمَا وَالاَهَا مِنْ أَعْمَالِ المغْرِبِ، وَسَارَ مَعَ النَّاسِ بِسِيرَةٍ حَمِيدَةٍ، وَأُمُورٍ سَدِيدَةٍ...»[68]، وعلى الرغم من إحكامه السيطرة على المدينة والاعتناء بها وبضريح ابن عباد النفزي المذكور فيما سبق إلا انه لم يستطع إخماد الكثير من الثورات التي التهبت في باقي النواحي التابعة لولايته[69]، وانتهت ولايته بعدمها تعرض لمؤامرة قادها ضده القائد أبو عبد الله الدريدي مع صهره أحمد بن صالح الليريني[70]، فمات مسموما في ربيع الثاني 1059هـ/ أفريل

1649م، ودفن بالزاوية الدلائية، ولعل السبب في التآمر عليه؛ هو منحه امتيازات كثيرة للشرفاء القادريين ولاسيما الإشراف على خدمة ضريح سيدي أبي الحسن بن حرزهم.

غير أن مُحَمَّد بن الطيب القادري يضيف إلى هذا الطرح المزيد، ذلك أن هذا الرجل يشير في موسوعته **نشر المثاني**...، إلى قضية الفتن التي كانت تعصف في مدينة فاس ونصيب الدلائيين منها، فيذكر السيد عبد الخالق بن مُحَمَّد بن أبي بكر الدلائي، أخو مُحَمَّد الحاج الدلائي، وأنه قد ولي إمارة فاس بعد وفاة ابن أخيه مُحَمَّد بن مُحَمَّد الحاج، وقد مات عبد الخالق أيضا مقتولا في 01 ذي القعدة 1059هـ/ 6 نوفمبر 1649م، وتولى إمارة المدينة بعده أخوه مُحَمَّد المسناوي الدلائي وهو الثاني قد توفي مقتولا بدار ابن غضيفة ودفن بالدلاء، ويستفاد مما ذكره القادري في كتاب **نشر المثاني**...، أن الرجل لم يحكم المدينة إلا فترة وجيزة لا تتعدى الشهر، وقد كان حسب ما يصف مُحَمَّد بن الطيب القادري فقيها محدثا عالما[71].

عين مُحَمَّد الحاج الدلائي حفيده أحمد بن عبد الله في محاولة يائسة لإخماد الفتن والمشاكل في مدينة فاس، ولعل قدوم هذا الأخير لم يكن إلا في إطار تحري وتحقيق بشأن مقتل عمه، وذلك لأنه سرعان ما عاد إلى الدلاء بتفاصيل عما يقع في فاس، ليدبر بعدها مُحَمَّد الحاج الدلائي مكيدة لأعيان ووجهاء المدينة، وهو ما يمكن أن نسميه بـ"نكبة أعيان مدينة فاس"، وتفاصيل ذلك أن مُحَمَّد الحاج الدلائي استقدم إلى الدلاء جماعة من أعيان فاس يزيدون عن المائة، فوبخهم على الغدر بابنه مُحَمَّد، وسجنوا مدة يسيرة، ثم أمر بهم فذبحوا جميعا[72].

في شهر جمادى الثانية 1060هـ/ جوان 1650م؛ تنشب حرب بين القائد أبي بكر التاملي وأعوانه في ذلك الفاسيين من المدينة الجديدة، وبين رؤساء فاس القديم، فقطع أبو بكر الماء عن مدينتهم القديمة، مما اضطرهم لطلب المساعدة والنجدة بمحمد بن الشريف العلوي الذي قدم إلى المدينة ودخلها عنوة، وكانت هناك حروب كثيرة وضحايا كثر[73]، وقد حدثت الكثير من المشاكل والحروب والمناوشات بين أهل فاس المرينية والأخرى الإدريسية وكان ذلك في 15 ذي القعدة 1060هـ/ 9 نوفمبر 1650م، غير أن الدلائي فرض الهدنة في يوم الفتنة، وتجددت الفتنة بعد مدة وجيزة ففي 23 من شهر صفر من العام الموالي 1061هـ/ 15 فيفري 1651م، وقع قتال عظيم بين شقي مدينة فاس، ومات في هذه المواجهات عبد الكريم الليريني زعيم فئة الأندلسيين في مدينة فاس وأيضا مات مُحَمَّد بن سليمان اللمطي[74]

6. خاتمة:

لقد تسيبت الأمور في مدينة فاس ولم يبق هناك ضابط يحكم المدينة ولا سكانها، لذا فليس من الغريب أن يثور فيها الكثيرون، ويحصي مُحَمَّد الصغير الإفراني صاحب **نزهة الحادي**...، الكثير من الثائرين على عبد الله بن الشيخ المأمون، فأول من قام هو سليمان الزرهوني ، ثم المربوع، وقد ماتا مقتولين، ثم مُحَمَّد بن سليمان اللمطي، وعلي بن عبد الرحمن وهو قاتل مُحَمَّد بن سليمان المذكور، وكذا قام ابن الأشهب والحاج سوسان وابن العربي، وأيضا السيد يرزوز ومسعود بن عبد الله[75]، لذا فإن مدينة فاس قد انقسمت إلى فرق وشيع وعصابات أفسدت أحوال الناس وتجارة المدينة[76]، كما زرعت الفتن والرعب فيها، وقد وصف مُحَمَّد الصغير الإفراني الكثير من جوانب مشاهد المدينة، وفي ذلك يقول: «... وَوَقَعَ مِنَ الفِتَنِ مَا أَظْلَمَ بِهَا جَوُّهَا وَنَتُنَ أُفُقُهَا الَّذِي كَانَ عَاطِرَ الأَنْفَاسِ، وَخَلاَ أَكْثَرُ المِدِينَةِ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا الخَرَابُ وَدَامَ الشَّرُّ بَيْنَ أَهْلِ العُدْوَتَيْنِ، حَتَّى كَادَتْ فَاسُ تَضْمَحِلُّ وَيَعْفُو رَسْمُهَا...».[77]

ضلت مدينة فاس تموج في الفتن والمشاكل والصراعات الاهلية بين سكانها من جهة وبين كل من يحاول أن يخضعها لسلطانه إلى أن استولى عليها المولى الرشيد العلوي في إطار سعيه الحثيث للسيطرة على كامل المغرب الأقصى وتوحيد أراضيه وجمع كلمة المسلمين فيه وطاعتهم، وفي هذا يذكر أبو القاسم الزياني في **البستان الظريف في دولة مولاي علي الشريف** :« ... سُبْحَانَ اللهِ، هَذِهِ الْمَدِينَةُ الْمُبَارَكَةُ... هِيَ حَاضِرَةُ الْمَغْرِبِ، وَسُكَّانُهَا أَقْسَى النَّاسِ قُلُوبًا، وَأَكْثَرُهُمْ كِبْرًا وَعُجْبًا، لِجُرُوشَةِ مَائِهَا وَفَسَادِ هَوَائِهَا، مُولَعُونَ بِالْخِلَافِ عَلَى الْمُلُوكِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَمَعَ كُلِّ دَوْلَةٍ، وَلَا يَنْزَجِرُونَ بِمَا يَقَعُ لَهُمْ مِنَ الْمَصَائِبِ وَمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْفَضَائِحِ وَالنَّوَائِبِ، وَذَلِكَ لِخُبْثِ طِبَاعِهِمْ، فَرَحِمَ اللهُ ابْنَ الْخَطِيبِ فِي وَصْفِهِ لَهُمْ، وَقَدْ اتَّفَقَ الْحُكَمَاءُ عَلَى أَنَّ خُبْثَ الطِّبَاعِ لَا يُصْلِحُهُ الرِّفْقُ وَاللِّينُ وَالْعَدْلُ، وَلَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْجَوْرُ وَسُوءُ السِّيرَةِ، وَلَقَدْ طَالَعْتُ تَوَارِيخَ الْمَغْرِبِ وَمُلُوكِهِمْ، فَكُلُّهُمْ حَارَبَهُ أَهْلُ فَاسَ وَحَاصَرَهَا [كذا] حَتَّى فِي أَيَّامِ الْأَدَارِسَةِ مُعَمِّرِيهَا...».[78]

8. الهوامش:

(1) مولاي هاشم العلوي القاسمي، "مجتمع العنف في المغرب، مرصد لمتغيرات التأهيل الاجتماعي والتطور المعرفي الإنساني، مثال الانتقال من عصر بني مرين إلى عصر الأشراف السعديين والعلويين 1415- 1650م"، ضمن كتاب العنف في تاريخ المغرب، أشغال الأيام الوطنية الحادية والعشرين للجمعية المغربية للبحث التاريخي، منشورات ملتقى الطرق، الدار البيضاء، 2015، ص129.

(2) الحسن بن مُحَمَّد الوزان، وصف إفريقيا، تحقيق مُحَمَّد حجي، مُحَمَّد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج1، ص207.

(3) مُحَمَّد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ضمن موسوعة أعلام المغرب، تحقيق: مُحَمَّد حجي وأحمد التوفيق، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ج4، ص 1132، أحمد بن خالد الناصري، مرجع سابق، ج6، ص140.

(4) يذكر ذلك مُحَمَّد الصغير الإفراني في **النزهة**...، والقادري في **نشر المثاني**...، والناصري في **الاستقصا**...، غير أن صاحب مرآة المحاسن يشير إلى قصة مستملحة، تشير إلى أن السلطان أحمد الذهبي قد استنصر الشيخ أبي المحاسن الفاسي واستشف به ليساعده على لم شمل الدولة والحفاظ عليها من التفرقة والاختلاف، وهو ما فعله أيضا الشيخ أبو القاسم بن أبي نعيم، هذا الأخير الذي لم يكن يرجو قيام الفتنة في البيت السعدي، وهو ما جعل الشيخ أبا المحاسن يركب رفقة الشيخ أبي القاسم المذكور إلى ولي العهد المأمون، وما كان وجهتهما إليه إلا لما كان للشيخ أبي المحاسن الفاسي من قدر رفيع لدى المأمون، فحذره من مغبة الخروج عن أبيه، وأنه يؤمنه على نفسه من أبيه...، أنظر فيصل مبرك، الواقع السياسي للمغرب الأقصى منذ وفاة المولى المنصور إلى انتهاء فتنة أبن أبي محلي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2، قسم التاريخ، 2011، ص46 وما بعدها، أبو حامد العربي الفاسي، مرآة المحاسن، مصدر سابق، ص97.

(5) أحد الناصري، الاستقصاء لدول المغرب الأقصى – الدولة السعدية–، تحقيق: جعفر الناصري و مُحَمَّد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1955م، ج6، ص148.

(6) أنظر فيصل مبرك، الواقع السياسي في المغرب الأقصى وأثره ف سقوط الدولة السعدية 1603- 1613، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2011، ص56 وما بعدها.

(7) مُحَمَّد الصغير الإفراني، صفوة من انتشر...، مصدر سابق، ص ص65، 66.

(8) مُحَمَّد بن الطيب القادري، نشر المثاني...، مصدر سابق، ج4، ص1461.

[9] ابن عيشون الشراط، الروض عاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997، ص 221، أنظر أيضا مُحَمَّد بن الطيب القادري، نشر المثاني...، مصدر سابق، ج3، ص1238.

[10] نزهة الحادي، مصدر سابق، ص235، مُحَمَّد بن الطيب القادري، نشر المثاني...، مصدر سابق، ج3، ص1182.

[11] مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تحقيق عبد الرحيم بن حادة، ط1، عيون المقالات، 1994، ص96.

[12] أحمد بن خالد الناصري، مرجع سابق، ج6، ص54.

[13] أنظر/ فيصل مبرك، مرجع سابق، ص47.

[14] أحمد بن خالد الناصري، مرجع سابق، ج6، ص54.

[15] المرجع نفسه، ج6، ص54.

[16] مُحَمَّد الصغير الإفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، نشر هوداس، باريس، 1888م، ص ص 235، 236.

[17] المصدر نفسه، ص 236.

[18] مؤرخ مجهول، مصدر سابق، ص91.

[19] المصدر نفسه، ص91.

[20] المصدر نفسه، ص92.

[21] المصدر نفسه، ص92.

[22] ذكر مُحَمَّد الطيب القادري في **نشر المثاني**... وفاة السيد الزرهوني قبل ذلك بيوم، أي يوم الجمعة 04 صفر من العام المذكور، انظر/ مُحَمَّد بن الطيب القادري، نشر المثاني...، ج3، ص1235، مُحَمَّد الصغير الإفراني، نزهة الحادي...، طبعة السيد هوداس، مصدر سابق، ص235.

[23] ابن عيشون الشراط، مصدر سابق، ص 222.

[24] مُحَمَّد الصغير الإفراني، مصدر سابق، ص235.

[25] ابن عشون الشراط، مصدر سابق، ص249.

[26] مُحَمَّد بن الطيب القادري، نشر المثاني...، مصدر سابق، ج3، ص1183.

[27] راجع: مُحَمَّد بن الطيب القادري، نشر المثاني...، مصدر سابق، ج3، ص1182.

[28] ابن عشون الشراط، مصدر سابق، ص249.

[29] مُحَمَّد الصغير الإفراني، مصدر سابق، ص235.

(30) مُحَمَّد الصغير الإفراني، النزهة...، مصدر سابق، ص235.

(31) المصدر نفسه، ص236.

(32) نفسه، ص236.

(33) نفسه، ص236.

(34) نفسه، ص236.

Ernest MERCIER, Histoire de L'Afrique septentrionale Barbérie depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête Française, ERNEST LEROUX ÉDITEUR, Paris, 1888, T3, p196.

(35) مُحَمَّد الصغير الإفراني، النزهة...، مصدر سابق، ص236.

(36) المصدر نفسه، ص236، مُحَمَّد بن الطيب القادري، نشر المثاني...، مصدر سابق، ج3، ص1245.

(37) مُحَمَّد الصغير الإفراني، نزهة الحادي...، طبعة السيد هوداس، مصدر سابق، ص237.

(38) مُحَمَّد بن الطيب القادري، نشر المثاني...، مصدر سابق، ج3، ص1245.

(39) ذُكِرَ هذا في **الروض عاطر الأنفاس**... المنسوب لابن العيشون الشراط، كما أضاف إلى ذلك أن ذلك عقوبة له لاقتحامه روضة سيدي أحمد الشاوي وقتله فيها عددا من الزرهونيين كما سبق، أنظر: ابن عيشون الشراط، مصدر سابق، ص249.

(40) مُحَمَّد الصغير الإفراني، نزهة الحادي...، طبعة السيد هوداس، مصدر سابق، ص235.

(41) مُحَمَّد بن الطيب القادري، نشر المثاني...، مصدر سابق، ج3، ص1246.

(42) المصدر نفسه، ج3، ص1246.

(43) مُحَمَّد الصغير الإفراني، صفوة من انتشر...، مصدر سابق، ص112.

(44) أنظر عنه: مُحَمَّد بن الطيب القادري، نشر المثاني...، مصدر سابق، ج3، ص1252 وما يليها.

(45) مُحَمَّد الصغير الإفراني، نزهة الحادي...، طبعة السيد هوداس، مصدر سابق، ص238.

(46) المصدر نفسه، ص237.

(47) وهي إحدى بطون قبيلة صنهاجة استوطنوا الأودية وكانو يسكنون بيوتا بسيطة في الشمال الغربي لمدينة فاس، كانوا يحترفون مهنة الحياكة ووالحراثة، كانوا من اولى القبائل التي بايعت عثمان بن عبد الحق المريني (ت638هـ/ 1240م)، لمع نجم السادة الفشتاليين في عهد السعديين إذ اتصل بعضهم بالبلاط السعدي ونال شهرة فائقة، ككاتب الدولة ومؤرخ البلاط أثناء حكم المنصور عبد العزيز الفشتالي (ت1621م)، وعبد القادر الفشتالي (ت1620م)كاتب المولى أبي فارس

في مراكش وغيرهما، أنظر: إيمان عبد الرحمن العثمان، "الفشتاليون في المغرب الأقصى ودورهم في الحياة العامة"، مجلة كلية العلوم الإسلامية، عدد13، 2013، مج7، ص08.

(48) إحدى أحياء مدينة فاس.

(49) إما أن يكونوا فرعا من قبيلة صنهاجة المعروفة، وإما أن صنهاجة صفرو قبيلة بربرية ترجع أصولها إلى هوارة، على ما لهذا الرأي من تحفظ، وصفرو هي مدينة مغربية صغيرة تقع في سفح جبال الأطلس المتوسط على بعد ثمانية وعشرين كيلومترا جنوب شرق مدينة فاس، يذكر أنها من تأسيس المولى إدريس الأول، وفي تقييدات ابن الخياط القادري يذكر أن السيد علي بن الشريف جد الملوك العلويين المتوفى سنة 842هـ انتقل إليها –صفرو–، بعد ان كان مستقرا في فاس، غير انه ارتحل عنها إلى الأندلس، يصفها مارمول كربخال بقوله: «مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ تَضُمُّ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمَائَةِ نَسَمَةٍ، وَتُحِيطُ بِهَا أَسْوَارٌ عَالِيَةٌ... وَكَانَتْ صفْرُو فِي دَوْلَةِ مَوْلَايَ مُحَمَّدٍ [الوطاسي البرتغالي] مَلِكِ فَاس تَابِعَةً لِأَحَدِ إِخْوَةِ هَذَا الْأَمِيرِ، لَكِنَّهَا خَلَتْ مِنَ السُّكَّانِ بِسَبَبِ تَعَسُّفِهِمْ، ثُمَّ عَمَّرَهَا مِنْ جَدِيدٍ فِيمَا بَعْدُ مُسْلِمُو إِسْبَانِيَا وَالْبَرْبَرُ، وَآلَتْ إِلَى الشَّرِيفِ...» راجع:

E. CARETTE, Origine et migrations des principales Tribus de l'Algérie, IMPRIMERIE IMPÉRIALE, PARIS, 1842, p61 et s.

مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد نزيير وأخرون، دار نشر المعرفة، الرباط، 1989، ج2، ص ص 273، 274، عبد السلام بن محمد الخياط القادري، مختصر تاريخ الشرفاء، تحقيق عبد السلام المنصوري، دار الأمان، الرباط، 2012، ص ص74، 75.

(50) محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني...، مصدر سابق، ج3، ص1264.

(51) محمد الصغير الإفراني، نزهة الحادي...، طبعة السيد هوداس، مصدر سابق، ص237.

(52) العباس بن إبراهيم المراكشي، الإعلام...، مرجع سابق، ج1، ص387.

(53) المرجع نفسه، ج1، ص387.

(54) أ محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني...، مصدر سابق، ج3، ص1264.

(55) المصدر نفسه، ج3، ص1264.

(56) نفسه، ج3، ص1266.

(57) محمد الصغير الإفراني، نزهة الحادي...، طبعة السيد هوداس، مصدر سابق، ص239.

(58) محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني...، مصدر سابق، ج3، ص1266.

(59) محمد بن الطيب القادري، مصدر سابق، ج3، ص1269.

(60) المصدر نفسه، ج3، ص1282.

(61) مُحَمَّد الصغير الإفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، نشره واعتنى بنصوصه السيد هوداس، مطبعة بردين، ليدن، 1888، ص243.

(62) مُحَمَّد بن الطيب القادري، نشر المثاني...، مصدر سابق، ج3، ص1272.

(63) مُحَمَّد الصغير الإفراني، نزهة الحادي...، طبعة السيد هوداس، مصدر سابق، 244.

(64) المصدر نفسه، ص237.

(65) مُحَمَّد الطيب القادري، نشر المثاني...، مصدر سابق، ج4، ص1404.

(66) المصدر نفسه، ج4، ص1404.

(67) مُحَمَّدحجي، الزاوية الدلائية...، رسالة ماجستير غير المنشورة، مرجع سابق، ص 210.

(68) مُحَمَّد حجي، الزاوية الدلائية ودورها العلمي والديني والسياسي، ط2، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1988، ص228.

(69) مُحَمَّد حجي، الزاوية الدلائية...، رسالة ماجستير غير المنشورة، ص210.،

(70) ذكر الضعيف الرباطي، أن السيد صالح الليريني تزوج بابنة السيد الدريدي صاحب فاس الجديد وحملها في عَمَّارِيَّةٍ، وذلك في العاشر من شوال من العام 1070هـ، أنظر: الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، تحقيق أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط أكدال، 1986، ص31.

(71) مُحَمَّد بن الطيب القادري، مصدر سابق، ج4، ص1433.

(72) مُحَمَّد حجي، الزاوية الدلائية...، النسخة غير المنشورة، ص211.

(73) راجع مُحَمَّد بن الطيب القادري، نشر المثاني ...، مصدر سابق، ج4، ص1440.

(74) المصدر نفسه، ج4، ص1441.

(75) مُحَمَّد الصغير الإفراني، نزهة الحادي...، طبعة السيد هوداس، مصدر سابق، ص237.

(76) في هذا يقول مُحَمَّد الصغير الإفراني في كتابه **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، أن التجار كانوا يستأجرون ببعض العصابات التي تنشط في المدينة، فيقوم الرجل بإعطاء الأمان للتاجر وأسرته ومتجره وكل أملاكه، كما يقوم أفراد العصابة بحمايته من كل هجمات خارجية، مقابل دفع التاجر مبلغا من المال، مُحَمَّد الصغير الإفراني، نزهة الحادي...، طبعة السيد هوداس، مصدر سابق، ص237.

(77) المصدر نفسه، ص238.

(78) أبو القاسم الزياني، البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، تحقيق رشيد الزاوية، ط1، الشركة المغربية للطباعة والنشر، الرباط، 1992، ص50.